

فقه الأسماء الحسنی

البصیر

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

حفظه الله تعالى

برنامج من إذاعة القرآن الكريم

١٧-٠٤-١٤٢٨هـ

تفریغ: محمد عماد نوفل

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد..

معاشر المستمعين؛ ومن أسماء الله الحسنى: البصير.

وهو اسم تكرر وروده في القرآن الكريم في مواضع تريد على الأربعين، منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨)﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)﴾ [غافر: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)﴾ [الملك: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)﴾ [الشورى: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)﴾ [الإسراء: ١٧].

والبصير -معاشر المستمعين- أي الذي يرى جميع المبصرات، ويُبصر كل شيء وإن دق وصغر؛ فيبصر -تبارك وتعالى- ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويرى مجاري القوت في أعضائها، ويرى جريان الدم في عروقها، ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع، ويرى -تبارك وتعالى- تقلبات الأجفان، وخيانات العيون.

قال ابن القيم رحمه الله: "فالبصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة، وأعضائها، ولحمها، ودمها، ومخنها، وعروقها، ويرى ديبها على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء."

ولقد أحسن من قال:

يا من يرى مدَّ البعوض في ظلمة الليل البهيم
ويرى منطأ عروقها في نحرها
ومن الخ من بين العظام
امتن على بتوبة أحياءها
ما كان مني في الزمان

ومما يجب الإيمان به -معاشر المستمعين-: أنه -تبارك وتعالى- يبصر بعينين تليقان بجلاله وكماله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤)﴾ [القمر: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩)﴾ [طه: ٣٩].

وقد دل الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عينين، حين وصف عليه الصلاة والسلام الدجال فقال: ((إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور)) متفق عليه.

وتزيهه - سبحانه - عن العور دليل على ثبوت العينين له سبحانه على الوجه اللائق به، قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: "نحن نقول: لربنا عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في السموات وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى عليه خافية؛ فهو تعالى يرى ما في جوف البحار ولحجها، كما يرى عرشه الذي هو مستور عليه." انتهى كلامه رحمه الله.

ثم إن لهذا الاسم العظيم مقتضياته؛ من الذل، والخضوع، ودوام المراقبة، والإحسان في العبادة، والبعد عن المعاصي والذنوب، ومن يتأمل الآيات الواردة في القرآن الكريم محتومة بهذا الاسم -وهي تزيد على الأربعين- يتبين له ذلك، ولنقف من ذلك على بعض الأمثلة.

ختم جل وعلا بهذا الاسم قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]، وهذا يقتضي سمعه لجميع أصوات ما سكن في الليل والنهار، وبصره بحركاتهم على اختلاف الأوقات وتباين الحالات.

وختم به قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧] منبهاً بذلك أنه سبحانه بصير بأحوال عباده، خبير بها، بصير بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، بصير بمن يصلح حاله بالغي والمال، ومن يفسد حاله بذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠].

وختم به قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، أي بصير بالصالح والطالح، والمؤمن والكافر، ويجزي كلاً بما يستحق.

وختم به قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠] مهتداً ومتوعداً من يلحدون في آياته بأن بصير بهم مطلع عليهم، وسيجازيهم يوم القيامة على ما اقترفوه من إحداد في آيات الله.

وختم به - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، أي: السميع لجميع الأصوات على اختلافها، البصير بجميع المراتب بأي محل وموضع وزمان كانت، ومن ذلكم رؤيته

واطلاعه - سبحانه - على هذا الجادل في آيات الله ليبطلها، وهو أمر لا يتم له، وليس ببالغ.

وختم به - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠]، وفي هذا دلالة على أن العبادة حق للسميع البصير، الذي له كمال السمع وكمال البصر. وأما الأصنام فإن من دلائل بطلان عبادتها أنها لا تسمع ولا تبصر، ولهذا؛ قال إبراهيم الخليل - عليه السلام - لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مرم: ٤٢].

وختم به - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وهذا مدح من الله - سبحانه - لأوامره ونواهيه؛ لاشتغالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما؛ لأن شارعها السميع البصير، الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم من مصالح العباد ما لا يعلمون.

وختم به - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠]، وهذا فيه وعد منه سبحانه أنه لا يضيع عنده شيء من أعمال الخير التي قدموها لأنفسهم، وأنه بصير بهم، وسيثيبهم على ذلك عظيم الثواب.

معاشر المستمعين، وبهذه الأمثلة يُعلم أن استحضار العبد لكون الله بصيراً به مطلعاً عليه يفيد فائدة عظيمة في جاني الترغيب والترهيب، كما هو واضح في الأمثلة المتقدمة، فإذا أحسن العبد في

عبادته لربه ومجانبته لمعاصيه مستحضراً رؤية الله له واطلاعه عليه فهذا مقام الإحسان، وهو أعلى مقامات الدين؛ كما قال عليه الصلاة والسلام في بيان حقيقة الإحسان -قال-: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)).

وكم من شخص كف عن مقارفة المعاصي وفعل الذنوب لاستحضاره رؤية الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - له.

قال ابن رجب رحمه الله: "راود رجل امرأة في فلاة ليلة فأبّت، فقال لها: ما يراني إلا الكواكب. قالت: فأين مكوكبها؟! أي: أين الله؟ ألا يرانا؟!".

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وكفى بهذا زاجراً ورادعاً وواعظاً.

وبهذا تنتهي هذه الحلقة، وإلى لقاء آخر، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

